

كتاب أعجبني

«تقرير إلى غريكو»

ما يلزمهم من كتب، لكي يطلبوا منه الكتب موقعة بالإهداء، فيصبح بين نارين بين نار الرغبة في انتشار كتابه وبين نار الافلاس الذي يدفع ضريبته وحيدا.

هكذا يشقُّ الكاتب العُماني طريقه الصعب وحيدا بدون أن تترفق به المؤسسات. وعندما يسافر خارج جغرافيته المعزولة، يتلقى السؤال الجارح: «أوووه.. ماشاء الله لديكم كتاب حقا و مترجمين ولديكم نقاد وكتاب قصص ورواية وشعراء ومفكرون أيضا. يا إلهي هذا كثير.. لم نسمع بكم من قبل.. أين كنتم؟! فإذا كان التوزيع المحلي تغيسا، فماذا عساه يكون خليجيا وعربيا؟ أرغب في الأخير أن أقول إن مقولة: العُمانيون لا يقرأون؛ كذبة كبيرة وغير حقيقية. ولو افترضنا جدلا أنها حقيقية فإن ذلك أجدى لأن تفرغ أجراس الإنذار ولأن تتحرك المؤسسات والقطاع الخاص والأيدي البيضاء لعمل المكتبات لأن القراءة تغير خارطة المستقبل وتغير الأفكار وهي ليست ترفا عابرا. ربما يقول البعض: تأخرنا كثيرا. نحن في زمن بات العالم والكتب يأتیان إلينا بضغط زر واحدة. وإن كان ذلك صحيحا، لا يعني أبدا أن تهمل المكتبات العامة والتي غالبا ما تكون حيوية بالأنشطة العديدة والحوارات والمناقشات. أبعدها أولادنا عن الفراغ وعن الأجهزة وعن المخدرات وألعاب العنف، فوحدها القراءة تفعل ذلك.

لا أرغب أن أبدو مُتَشائمًا ولكن نحن نتحدث عن ظروف العاصمة مسقط فما بالننا بالمناطق المجاورة وعُمان كما نعرف بلد مترامي الأطراف. المحاولات الصغيرة التي يقوم بها بعض الشباب هنا وهناك تبدو جيدة بعض الشيء، ولكنها لا تؤسس لمشروع جاد بأرضية صلبة كالتالي نعلم بها.

توقفوا عن الخوف من الكتب. اتركوا جيلا جديدا ليتنفس بحرية.

كان من حقه أن يضحك إلى أن تنفجر شرابين مخه، فعمر هذه المطالبة ممتد منذ السبعينيات وحتى اليوم، مما يعني نصف قرن من الزمان. وربما سيلزمننا نصف قرن آخر ليتحقق الأمر لأحفاد أحفادنا، لأننا لا نزال مُسممين بفكرة واحدة: العُمانيون لا يقرأون.

أتساءل الآن.. أي قانون، أي قوة فولاذية، أي قرار وراء تعطيل توزيع الكتب العُمانية في الداخل كل هذه العقود من الزمان؟ وإلى متى سنظل نعتد على التنفس الصناعي في معارض الكتاب الحولية؟ لقد التقيت ذات مرة بناشر عربي وطموح رغب بافتتاح مكتبة لتوزيع الكتب في عُمان المهيأة من كل النواحي لمشروع كهذا، فرأى الناشر الأمرين بأمر عينه. فترك الأمر برمته وغادر.

حتى لو توفرت الأرضية المناسبة والخصبة والأجيال الشابة والمتعلمة والأم والأمان فإن البيروقراطية قادرة على أن تقتل كل شيء.

ها أنا الآن ٢٠١٦، أحاول جاهدة أن أجد منفذ العملي الروائي الجديد سندريلات مسقط، فيتكرر الاحباط في صور بالغة اليأس حقا. ولست وحدي من يكابد ذلك. بالتأكيد. فكم من الأعمال تموتنا ما أن يُغلق معرض مسقط للكتاب أبوابه.

غياب توزيع الكتب يعني أن يتحول الكاتب إلى بياح؛ يبيع النسخ التي يشتريها من دار النشر، أو أن يفتح بيته ومكتبه للإهداء، وغالبا ما تميل الشخصية العُمانية الخجولة للخيار الثاني على استحياء. فليس لديهم مكان يدلون عليه من يرغب باقتناء كتبهم.

هنالك الكتب الفكرية والكتب المترجمة باهظة الثمن، وصاحبها ليس مضطرا للخضوع لعملية الإهداء، فضوق الظلم الذي قد يكابده من دور النشر، يأتي القراء الذين يوما لم يتعودوا على ثقافة الذهاب للمكتبات في عُمان لشراء

حياة جندي أتم واجبه في هذه الحياة

■ في هذه المساحة نعرض في كل عدد كتاباً من الكتب التي عرضها البرنامج

الإذاعي «كتاب أعجبني» الذي بدأت إذاعة سلطنة عُمان بثه في أكتوبر ٢٠١٠

. ومنذ ذلك الحين استضاف فيه معده ومقدمه سليمان المعمرى عشرات القراء

الذين عرضوا مئات الكتب . في هذا العدد سنعرض كتاب «تقرير إلى غريكو»

أ. عبدالعزيز الجلاصي

للأديب اليوناني نيكوس كازانتزاكيس ■

قطرات من دمي . الأثر الذي يشير إلى رحلتي بين الناس والعواطف والأفكار..»

كان ذلك مقتطفاً من الكتاب الأدبي المهم «تقرير إلى غريكو» للأديب اليوناني نيكوس كازانتزاكيس، والذي اختار مترجمه إلى العربية الأديب السوري ممدوح عدوان أن يضع له عنوانا جانبيا هو «سيرة ذاتية فكرية». هذا الكتاب سنتناوله في هذه الحلقة بصحبة عبدالعزيز بن يونس الجلاصي عضو

«..إنه ليس سيرة ذاتية، فحياتي الشخصية لها بعض القيمة، وبشكل نسبي تماما، بالنسبة لي وليس بالنسبة لأي شخص آخر. والقيمة الوحيدة التي أعرفها فيها كانت في الجهود من أجل الصعود من درجة إلى أخرى للوصول إلى أعلى نقطة يمكن أن توصلها إليها قوتها وعنادها. للقيمة التي سميتها تسمية اعتباطية ب«الإطالة الكريمية». ولذلك فإنك أيها القارئ ستجد في هذه الصفحات الأثر الأحمر الذي خلفته

مناهج اللغة العربية بالمديرية العامة لتطوير المناهج
بوزارة التربية والتعليم

دعنا نبدأ الحلقة بتعريف كازانتزاكيس

نيكوس كازانتزاكيس هو أحد ألمع أدباء وروائيي القرن العشرين. إنه أديب وروائي يوناني وُلد سنة ١٨٨٢، وكانت وفاته في شهر أكتوبر من سنة ١٩٥٧. خلال هذه السنين التي عاشها كان همُّ كازانتزاكيس هو الصعود إلى القمة، كما تفضلتم وذكرتم في تلك الفقرة الرائعة التي افتتحتم بها البرنامج، لأنها تمثل تكثيفاً لتجربة كازانتزاكيس الروائية، وفي الكتابة عموماً. هذا الأديب كتب روايات عديدة من أهمها ولعل أشهرها رواية «زوربا» التي يتذكرها الناس كثيراً، بل لعلهم ينسون كاتبها ويتذكرون شخصيتها زوربا، تلك الشخصية الحقيقية التي كفت أن تكون حقيقية حين بدأ بكتابتها على نحو أسطوري بعد وفاتها.

وطبعاً تأثر بالفلاسفة الغربيين كنيته.....

نعم. كان لفلاسفة وأدباء القرن العشرين أثر عميق في تكوين شخصية كازانتزاكيس. وأكثر من تأثره بالأفكار كان يتأثر بالأشخاص، بالإنسان، بالجوهر. تأثر بعدابات السيد المسيح. وبالديانة البوذية لعمقها الفلسفي. ثم تأثر بالتجربة الاشتراكية في روسيا، وكذلك بالفلاسفة الألمان وأبرزهم نيتشه. هذه التأثيرات نحتت شخصيته وجعلت منه هذا الكاتب الفذ الذي نعرض له اليوم.

طبعاً كازانتزاكيس فاز بجائزة لينين، وهي جائزة عالمية مهمة. ولكنه كان الأديب الذي لم تُفَرَّ به نوبل.. لماذا؟.

كلامك صحيح من زاوية نظر محددة. نقول إن جائزة نوبل خسرت كازانتزاكيس في ذات الفترة التي كان منافسه فيها هو [الفرنسي] ألبير كامو، صاحب كتابي «الغريب» و«الطاعون»، وصاحب الفلسفة الوجودية العميقة والكتابات الروائية العديدة. في تلك الفترة كان نيكوس كازانتزاكيس على فراش الموت، وكان يردد عبارة جميلة جداً تعجيني، فحواها أنه لن يترك فرصة للموت أن يأتي إلا ليأخذ منه كيساً من العظام، أما جوهره فإنه سيفرغه على الورق.

نيكوس كازانتزاكيس

تقرير إلى غريكو (سيرة ذاتية فكرية)



ترجمة: ممدوح عدوان

لكن لماذا لم يرشح لنوبل قبل سنة وفاته ؟

تعرف أخي سليمان أن جائزة نوبل لها ملاساتها واعتباراتها الخاصة. أنا لا أنزهها عن الاعتبارات السياسية أو العقائدية أو غيرها. يُقال ويُداول أن كازانتزاكيس حُرِمَ من هذه الجائزة لاعتبارات عقائدية في الأساس.

وفي المقابل فإن هناك كتاباً فازوا بهذه الجائزة لا ذكر لهم اليوم. على أية حال دعنا ندخل إلى الكتاب. ولنبدأ من العنوان: لماذا وصف كازانتزاكيس كتابه بـ«تقرير»؟.

عبارة «تقرير» هي الأقرب إلى جوهر الكتاب. ولعلكم أيضاً في تلك المقدمة المكثفة في بداية الحلقة ذكرتم أنها ليست سيرة ذاتية باعتراف صاحبها، رغم ما جاء من عنوان فرعي —كنتم قد أشرتُم إليه— أن ممدوح عدوان قد ذلَّ عنوان

الكتاب بأنه «سيرة ذاتية فكرية». إضافة صفة «فكرية» على السيرة الذاتية يزيد من التباسها ولا يزيدها وضوحاً.

ربما كان ذلك لأسباب تسويقية.

ربما يكون ذلك. المهم أن التقرير كان قد رفعه كجندي باسل نيكوس كازانتزاكيس إلى أحد أجداده السابقين وهو إل غريكو، وهو رسام مر على وفاته أكثر من ثلاثة قرون كان يرسم القديسين، وكان قد حمل كريت واليونان في قلبه وهو يعيش في أسبانيا. لذلك رأى كازانتزاكيس علاقتهما معاً علاقة جندي بجنرال؛ جندي أتم واجبه في هذه الحياة (كازانتزاكيس) وهو الآن بصدد كتابة تقرير عن تجربة حياته إلى جده (إل غريكو).

إذاً توصيف ممدوح عدوان الكتاب بأنه «سيرة ذاتية فكرية» ليس دقيقاً تماماً؟

مع احترامي الشديد لممدوح عدوان الذي هو علامة بارزة في المكتبة العربية روايةً وشعراً وترجمةً ومسرحيةً، إلا أنني أرى أن وصف الكتاب بالسيرة الذاتية فيه ضرب من الإكراه ولِّيَ عنق الكتاب من أجل الاستجابة إلى أن يكون سيرة ذاتية، فيما يقر صاحبه بأن هذا الكتاب تقرير، وأنه لا يعرض لتفاصيل حياته اليومية، فهو يعتبر حياته اليومية قشوراً، وأنه يبحث عن الجوهر. لذلك لا وجود لوفاتيّ والده ووالدته، ولا لزواجيه الأول والثاني، ولا لتفاصيل حياته اليومية الأخرى. اهتم فقط بالواجب الذي كان يؤديه؛ واجب الصعود نحو القمة. وكان في لحظة من لحظات حياته حينما أحس باقتراب الموت طلب من زوجته هيلين — زوجة العشرة الأيام في السنة، حيث ربط معها عقداً فريداً من نوعه: ألا يراها إلا عشرة أيام خلال العام فقط — طلب منها أن يخرج إلى الشارع ليستجدي من كل عابر سبيل ربع ساعة فقط من عُمره من أجل أن يكمل «تقرير إلى غريكو» ومشروعين لروائيتين. لكي لا يجد منه الموت عندما يأتي سوى كيس من العظام فقط.

تحدثت عن زوربا، هذه الشخصية الحقيقية التي حولها كازانتزاكيس إلى أسطورة. ماذا كتب عنها

في «تقرير إلى غريكو»؟

نيكوس كازانتزاكيس ذكر الملابس التي التقى فيها بـ«أليكسي زوربا»؛ حيث كان كازانتزاكيس يعاني من ضغط والده وعائلته لماذا لا يعمل وهو المجاز في القانون من جامعات فرنسا؟. فأعطاه عمه مبلغاً من المال، فأوهم الجميع أنه سيفتح منجماً للبحث عن المعادن، وتعاقد مع أليكسي زوربا ومجموعة من العمّال، وصرف كل المبلغ في البحث عن وهم، لأنه لا معادن ولا خبرة له أصلاً في البحث عن المعادن. وطرد جميع العمال وجلس هو وزوربا يعيشان حياة الجنون على حافة البحر وعلى تخوم المنجم الفارغ، وتعلم منه كيف يحيا وكيف لا يخاف الموت.

أيضاً يوثق كازانتزاكيس في هذا الكتاب خلاصة رحلاته للعالم حيث زار الصين وألمانيا وروسيا وإيطاليا وفرنسا والنمسا ودولاً كثيرة. ومن ضمن الأماكن التي زارها أيضاً مصر، وتحديدًا سيناء. وأنتم في المديرية العامة لتطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم اخترتم نصاً عن سيناء ليكون مقررًا على طلبة الصف الثاني عشر في المناهج العمّانية. لماذا اخترتم هذا النص تحديداً؟.

اخترنا؛ أنا وزميلي المؤلف الآخر لهذا الكتاب الأستاذ شهاب أبو هاني، هذا النص عن سيناء لأنه يعرف الطالب العربي عموماً، وليس العمّاني تحديداً، بنظرة الآخر للحضارة العربية بقيمها وصورة البداوة كما تظهر لدى نيكوس كازانتزاكيس. لقد تحدثت بعمق كبير عن حياة البدو في الصحراء، وكرمهم، وسخائهم رغم فقرهم، وطمأنينتهم وإيمانهم، والقدرة على تلك المصالحة مع الحياة، وحياة الدعة التي يعيشونها. تحدثت عن حدسه بأن لديه دماً عربياً يجري في عروقه. كان يشعر ببهجة عارمة حينما يرى نخلة. وحينما ركب الجمل لأول مرة أحس بأنه في أحضان حضارته الأصلية. لذلك كان يقول إنه عربي من جهة الأب، ويوناني من جهة أمه. وورث هذا التصادم بين حضارتين الذي تجسد في شخص نيكوس كازانتزاكيس الكاتب والروائي والذات الإنسانية.